



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

المحقق آية الله الشيخ محمد السند

التوسل

عبادة توحيدية



به قلم محمد عيسى آل مكباس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التوسل: عبادة توحيدية

كاتب:

محمد السند

نشرت في الطباعة:

سعيد بن جبير

رقم الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٧	التوسل: عبادة توحيدية
٧	إشارة
٧	المقدمة
٨	توطئة
٨	تقديم
١٣	شبهة و إثارة
١٣	إشارة
١٣	أدلة القائلين بعدم جواز التوسل بغير الله تعالى ... ص: ٢٥
١٣	معنى الإله فى اللغة
١٥	وجه ان من الوسائط ما هو مأمور بها من قبل الله عزّ و جل
١٦	مفهوم العبادة
١٧	قصة آدم عليه السلام مع إبليس
١٨	نفى الوسائط يؤول الى التجسيم
١٩	الرد على أدلة المانعين من التوسل
٢١	و نجيب على هذا بما يلي:
٢٢	ملاح من التوسل فى الشعائر العبادية
٢٣	موارد أخرى فى التوسل
٢٦	موارد عقلية على التوسل
٢٧	خاتمة فى التوسل
٢٧	الوسائط مظهر قدرة البارئ ... ص: ٧٥
٣٠	مصادر البحث
٣١	فهرس المطالب

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ٣٢

التوسل: عبادة توحيدية

إشارة

- سرشناسه : سند، محمد، ١٣٤٠-
 عنوان و نام پديد آور : التوسل عبادة توحيدية من محاضرات محمد سند/بقلم محمد عيسى آل مكباس.
 مشخصات نشر : قم: سعيد بن جبير، ١٣٨٤، = ٢٠٠٥م، = ١٤٢٦ق.
 مشخصات ظاهري : ٨٨ ص.
 شابك : : ٩٦٤-٨٧٩٣-٠١-٨
 يادداشت : عربي.
 يادداشت : كتابنامه: ص. [٨٥] ؛ همچنين به صورت زيرنويس.
 موضوع : توسل.
 موضوع : شيعه -- عقايد.
 شناسه افزوده : آل مكباس، محمد
 رده بندي كنكره : BP٢٢٦/٦/س ٩ت ٩
 رده بندي ديويي : ٢٩٧/٤٦٨
 شماره كتابشناسي ملي : ١١٥٠٢٢٨

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم كثيرا ما تطرح مجموعة من الاثار حول مجموعة من المسائل و الابحاث العقائدية من قبيل التوسل بالاولياء و التوسل بقبورهم و زيارتها، و ما شابه ذلك، حيث يشنع على من يقول هذه الاقوال بل ينسب في اغلب الاحيان الى الشرك و الكفر، و ذلك نابع من التعجل في الحكم على الآخرين من خلال الفهم الخاطي لأدلة هذه المسائل و عدم الغور فيها بعمق علمي و بعيدا عن الرواسب و المخلفات التعصبيه.

فجاء هذا البحث من لدن سماحة الحجة الشيخ محمد سند ليعالج مسألة من المسائل العقائدية و هي مسألة مشروعية التوسل بالاولياء و الاوصياء، و كان وافيًا و دقيقًا في هذا المجال حيث استعرض فيه أدلة المانع من التوسل بالاولياء و أجاب عنها واحدة واحدة من خلال القرآن و السنة النبوية و أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

و في الختام نقدم هذا السفر الجليل لمريديه حتى يتضح الحق لأهله و تندفع شبهات المغرضين.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٦

و آخر دعونا ان الحمد لله رب العالمين، و صلى الله على خير خلقه، و صفوة انبيائه و رسله، صاحب الشفاعة الكبرى و الوسيلة في الدنيا و الآخرة، أبي القاسم محمد و على آله الطيبين الطاهرين الذين اذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

المقرر

محمد عيسى آل مكباس

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

توطئة

الحمد لله الذي يصطفى من عبادة و يجعلهم أبواباً لرحمة، و وسيلة الى رضوانه، و كلمات لمغفرة و التوبة اليه، و اسماء يدعى بهم، و ادلاء يتوجه بهم اليه، و بيوتا اذن ان ترفع يذكر فيها اسمه، و امر باتيانها من ابوابها.

ثم الصلاة و السلام على شفيع الامة، و صاحب الوسيلة الذي امرنا بالمجيء اليه ليستغفر لنا ذنوبنا، و الذي تعرض عليه و على أهل بيته عليهم السلام أعمالنا، و قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ «١».

كيف لا و قد جعل البارى محبتهم و توليهم سبيلا و وسيلة اليه، فقال:

قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى، «٢»

قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ «٣»

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٨

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا «١».

و بعد فان التوسل بالنبي صلى الله عليه و اله و أهل بيته عليهم السلام و التوجه بهم الى الله تعالى فى مقام التوجه الى الله تعالى هو من اعظم الأبواب العبادية و القربات الزلفى، فقد فرض تعالى عند التوجه اليه تولية الوجه شطر المسجد الحرام و حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ، «٢» و قد بين تعالى الحكمة فى ذلك حيث قال: وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ، «٣» و قال سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

«٤»

ان تولية الوجه شطره هو لجهة الاضافة اليه تعالى و بهذه الملاحظة فالتولية للمشرق او المغرب هو قبلة للتوجه اليه تعالى، و من المعلوم ان وجه الله الذى هو ثم فى التولى للمشرق و المغرب ليس هو الوجه الجسمانى، تعالى الله عما يقوله الحشوية المجسمة، بل هو الآيه و العلامة التى تؤدى اليه تعالى، و لذلك فرع

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٩

على استقبال القبلة من جهة انها لله الهداية الى الصراط المستقيم، و من هذه الآيات الكريمة يستفاد ان الهادى و السبيل الى الله تعالى هو مما يتوجه به اليه تعالى، و هو فرض عين فى اقامة الوجه للدين الحنيف، و قد وصف تعالى مودة أهل البيت و توليهم بأنها سبيل اليه، فهم يتوجه بهم اليه تعالى، كما جاء فى زيارتهم عليهم السلام (و من قصده - تعالى - توجه بكم).

و يتبين بذلك ان التوجه بهم و التوسل بهم اليه تعالى فريضة من عظام الفرائض العبادية و الدينية.

فالبحث فى هذا الباب ليس يقتصر على المشروعية و الرجحان بل يترقى الى بيان فريضته و كبروية هذه الفريضة، و قد قام الباحث الأريب الدرئى المتتبع الفاضل الشيخ محمد عيسى آل مكباس بضبط ما ألقيناه من البحث حول ذلك بعبارة موجزة مقتضبة ليعم نفعه، كما هو المرجو من العلى القدير، انه خير معين و نصير.

محمد سند

جمادى الآخرة ١٤٢٤ هـ

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ١١

ان احد أبواب عبادة الله تعالى - نظير الصلاة و الصوم و الدعاء و الذكر و نحوها من أنواع و أجناس و أصناف العبادات - و هو التوسل إليه تعالى بأصفياءه و بالذين أخلصهم بقرباه.

فإن التوسل إليه بهم، نحو زلفى و قربى إليه تعالى، فإن المتوسل يعطف بزمام قلبه إلى وجه الله تعالى، و ان كان (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ* وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَ إِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ* قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ١٢

لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ* وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَ مَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَ مَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَ لَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ* الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَ إِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ* الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْفِرِينَ* وَ لِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيُهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. «١»

فإن القبلة ليست إلا وسيلة للتوجه بها إليه تعالى، (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ الْكِتَابِ وَ النَّبِيِّنَ وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ). «٢»

(وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا التُّبُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَ اتُوا التُّبُوتَ مِنْ أَوْبَاهِهَا). «٣»

فالقبلة ليست هي المعبود و انما هي وجهه يتوجه بها إليه تعالى، و من ذلك صار آدم صفى الله قبله للملائكة و سجودهم لله تعالى فى قوله تعالى (وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) «٤» و من ذلك صارت

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ١٣

بيوت موسى كليم الله تعالى قبله لبنى اسرائيل فى صلاتهم لله تعالى (وَ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَ أَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَ اجْعَلُوا بَيْوتَكُمْ قِبْلَةً وَ اقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) «١» و من ذلك قوله تعالى (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)، «٢» (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوِيهِ وَ قَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ* وَ رَفَعَ أَبَوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَ قَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّيَ حَقًّا). «٣»

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَ لَكِنَّ تَضَدِّيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ). «٤»

و قد روى النسائي و الترمذى فى حديث الاعرابى ان النبى صلى الله عليه و اله علمه قول: يا محمد انى توجهت بك الى الله. «٥»

و روى الترمذى و ابن ماجه حديث عثمان بن حنيف، ان رجلا ضرير البصر أتى النبى صلى الله عليه و اله فقال: ادع الله ان يعافينى، فقال النبى صلى الله عليه و اله:

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ١٤

إن شئت صبرت فهو خير لك، و إن شئت دعوت، قال: فادعه، فأمره ان يتوضأ و يدعو بهذا الدعاء: اللهم انى أسألك و أتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة، يا محمد انى توجهت بك الى ربى فى حاجتى ليقضيهها، اللهم شفعه فى. و رواه النسائي و صححه البيهقى، و زاد:

فقام و قد أبصر. «١»

و من ذلك يتبين ان التوجه بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَارْحَمَتِهِ وَبَارِكْ وَسَلِّمْ و الاستشفاع به و الاستعانة به اليه تعالى و تقديمه بين يدي الحاجة اليه تعالى، و توسيطه هي عناوين موازية للتوسل به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَارْحَمَتِهِ وَبَارِكْ وَسَلِّمْ و الله الى الله تعالى، و قد قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)، «٢» و قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَعْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا). «٣»

فأمر بابتغاء الوسيلة اليه تعالى، و قد عيّن تلك الوسيلة و هي التوجه في الاستغفار و التوبة و الاوبة بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَارْحَمَتِهِ وَبَارِكْ وَسَلِّمْ و الله و ان استغفار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَارْحَمَتِهِ وَبَارِكْ وَسَلِّمْ و الله و تشفعه دخيل في توبة الله تعالى عليهم و رحمته لهم.

و قال تعالى:

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ١٥

صَلَاتِكَ سَيَكُنْ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)، «١» فجعل دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَارْحَمَتِهِ وَبَارِكْ وَسَلِّمْ في حصول السكينة و الايمان و الطهارة لهم، و قوله تعالى (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوَاكُمْ)، «٢» و هذا نظير ما قاله تعالى في قصة اخوة يوسف عليه السلام (قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ * قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)، «٣» و قوله تعالى (قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)، «٤» و قوله تعالى في شأن قوم موسى عليه السلام (فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ)، «٥» و قوله تعالى في شأن فرعون مع النبي موسى عليه السلام (وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ)، «٦» و قوله تعالى في شأن النبي عيسى عليه السلام (اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)، «٧» و قوله تعالى في شأن النبي موسى عليه السلام (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ١٦

قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا). «١»

و الوجيه في اللغة و المعنى هو ذو الحظوة و القرب مما يتوجه به الى الله تعالى و يتوسل به اليه.

و قال الله تعالى: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)، «٢» المفسر بمقام الوسيلة و الشفاعة، كما في الدعاء المأثور (اللهم رب هذه الدعوة التامة و الصلاة القائمة آت محمدا (صلى الله عليه و آله) الوسيلة و الفضيلة و ابعثه المقام المحمود الذي وعدته و ارزقني شفاعته يوم القيامة).

و من ذلك ينجلي ان الايمان بمقام الشفاعة له (صلى الله عليه و آله) يلازم الايمان بالتوسل، لان التوسل به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَارْحَمَتِهِ وَبَارِكْ وَسَلِّمْ و الله ينطوي على تشفعه بقضاء الحاجة لديه تعالى، فالاعتقاد بالشفاعة دليل رجحان التوسل (لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى)، «٣» (لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا)، «٤» فإذنه تعالى في الشفاعة متطابق مع امره تعالى، (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)، «٥» أي بالتوسل اليه تعالى بالوسائل الشافعة لديه، فالتوسل و الاستشفاع به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَارْحَمَتِهِ وَبَارِكْ وَسَلِّمْ و الله هو دعاؤه تعالى، و الوسائل التي اذن تعالى ان يدعى بها هي أبواب

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ١٧

لدعوته جلّ و علا، لا دعوة من دونه.

و روى الحاكم في مستدرکه ان آدم لما اقترف الخطيئة قال: يا ربى اسألك بحق محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَارْحَمَتِهِ وَبَارِكْ وَسَلِّمْ و الله لما غفرت لى، فقال: يا آدم كيف عرفت؟

قال: لانك لما خلقتنى نظرت الى العرش فوجدت مكتوبا فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله، فرأيت اسمه مقرونا مع اسمك، فعرفته

أحب الخلق اليك. (١)

و روى البخارى، عن أنس ان عمر بن الخطاب كان اذا اقحط الناس استسقى بالعباس فقال: اللهم انا نتوسل اليك بنبيك فتسقينا، و انا نتوسل اليك بعم نبيك، و نستشفع اليك بشيئته، فسقوا. (٢)

و روى أحمد بن حنبل ان عائشة قال لها مسروق: سألتك بصاحب هذا القبر ما الذى سمعت من رسول الله؟- يعنى فى حق الخوارج- قالت: سمعته يقول: انهم شر الخلق و الخليفة، يقتلهم خير الخلق و الخليفة، و أقربهم عند الله و سيلة. (٣)

و روى فى كنز العمال عن على عليه السلام ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه و اله فقام بين يديه و جعل يحد النظر اليه، فقال: يا يهودى ما حاجتك؟ فقال: أنت أفضل أم موسى؟ فقال له: انه يكره للعبد ان

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ١٨

يزكى نفسه، و لكن قال الله تعالى (و أما بنعمة ربك فحدث)، ان آدم لما اصابته خطيئته التى تاب منها كانت توبته اللهم انى اسألك بمحمد و آل محمد لما غفرت لى، فغفر له. (١) و يشير صلى الله عليه و اله الى قوله تعالى (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ). (٢)

و قد اطلق القرآن الكلمه على المقربين عنده تعالى كما فى قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِكَلِمَتِهِ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ)، (٣) و قال تعالى (أَنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِبِيحْيَى مُصَدَّقًا بِكَلِمَتِهِ مِنَ اللَّهِ). (٤)

و كيف لا يكون آل محمد صلى الله عليه و اله و وسائل الدعاء الى الله تعالى و قد حباهم الله تعالى بالزلفى، و اجتباهم و حظاهم بأنعمه الخاصة، و جعلهم السبيل اليه تعالى، فقال (قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)، (٥) و قال: (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ فَهُوَ لَكُمْ)، (٦) و قال:

(قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا). (٧) فمودتهم سبيل اليه، و هم الوسيلة للتوجه اليه تعالى، و قد أبان قربهم اليه من بين الأمم و مزيد عنايته بهم حيث قال: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ١٩

عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا). (١)

ثم لا- يخفى ان التوسل و الاستشفاع بالمقربين الى البارى تعالى، هو من آداب الدعاء و التوجه الى الحضرة الالهية، فاننا كما نتوجه بجسمنا فى الصلاة الى المسجد الحرام و الكعبة بقصد التوجه الحقيقى بقلوبنا الى الله تعالى، فليست الكعبة إلا وسيلة للتوجه اليه تعالى، و من شرائط عبادته تعالى، فهذا يفصح عن دور الوسيلة و الوسائل فى التوجه و الدعاء، مع ان الشأن اينما تولوا فتم وجه الله لكن ذلك لا ينفى خصيصه المسجد الحرام و الكعبة المشرفة، ألا ترى ان البارى تعالى جعل آدم عليه السلام قبله لسجود الملائكة مع كون السجود هو لله تعالى، و لم يقبل من ابليس اللعين السجود لله تعالى من دون ان يتخذ آدم قبله يتجه بها اليه تعالى، و كرر تعالى هذه الواقعة فى سبع سور قرآنية، كل ذلك لاجل ان يبين تعالى ان من آداب عبادته تعالى و دعائه التوجه اليه بأوليائه المقربين، و ان هذا الأدب اللازم هو نمط من التعظيم لله تعالى، كما هو الشأن فى الكعبة المشرفة و البيت الحرام، فقد جعل تعالى لهما حرمة و تقديس، و جعل حرمتهما و تعظيمهما من حرمة و تعظيمه، و قال تعالى: (وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ). (٢)

و لا يخفى على الفطن اللبيب ان مقتضى قوله تعالى: (قُلْ لِلَّهِ

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٢٠

الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدَىٰ مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ* وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيًّا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَ إِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ* قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَتَهُ تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ

شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ* وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ ائْتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ* الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ* الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْتُمِينَ* وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيُهَا. (١)

وقوله تعالى (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيُّمَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ). (٢)

ان فعله تعالى و خلقته وجها و آية له تعالى، فان مخلوقيه ما فى الشرق و ما فى الغرب، أى ما فى الكون أجمع آيات تتجه بالمتدبر

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٢١

فيها الى الله تعالى، فهي وجه له تعالى، و القبلة ما يقابل عند الاتجاه، و تولية الوجه جهة القبلة المقابلة بما هي رمز لوجهه تعالى، فكأنا نستقبل بتولية وجوهنا تجاه القبلة ووجهه تعالى، اذ الاستقبال و المقابلة انما تحصل بتوجه المستقبل - بالكسر - بوجهه تجاه وجه المستقبل - بالفتح - فأياته الكبرى سبحانه وجه له تعالى، و كذلك كلماته التامات هي آياته، و هي وجهه له تعالى يتجه بها اليه كما مران النبي عيسى عليه السلام كلمته و آيته (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ)، (١) كما وصف بذلك النبي موسى عليه السلام (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا). (٢) فوجهه تعالى ليس ما يذهب اليه المجسمة الزائغة عن التوحيد من اثبات الجسم و الاعضاء، تعالى الله عن ما يقوله الظالمون علوا كبيرا، بل هو آيات خلقته التامة الدلالة على عظمته و كماله.

و ان التوجه الى أشرف مخلوقاته هو تولية لشطر الوجه نحو وجهه الكريم، و فى رواية الصدوق فى أماليه فى قصة الشاب النباش للقبور حيث كان يبكي على شبابه بكاء الشكلى على ولدها واقفا على باب رسول الله صلى الله عليه و آله، فادخل فسلم فرد صلى الله عليه و آله، ثم قال: ما

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٢٢

بيكيك يا شاب؟ قال: كيف لا ابكى و قد ركبت ذنوبا ان اخذنى الله عز و جل ببعضها ادخلنى نار جهنم و لا ارانى إلا سيأخذنى بها، و لا- يغفر لى أبدا، فاخذ رسول الله صلى الله عليه و آله يسأله عن نوع معصيته هل هي الشرك او قتل النفس او غيرها، الى ان أقر الشاب بجنائته، فتنفر نبي الرحمة من فظاعه جرمه، فذهب الشاب الى جبال المدينة و تعبد فيها، و لبس المسوخ، و غلّ يديه جميعا الى عنقه و نادى: يا رب، هذا عبدك بهلول بين يديك مغلول، يا رب، أنت الذى تعرفنى، و زل منى ما تعلم يا سيدى، يا رب، انى أصبحت من النادمين، و أتيت نبيك تائبا فطر دنى و زادنى خوفا، فأسألك باسمك و جلالك و عظمتك سلطانك ان لا تخيب رجائى سيدى، و لا تبطل دعائى، و لا تقنطنى من رحمتك، فلم يزل يقول ذلك أربعون يوما و ليلة، و تبكى له السباع و الوحوش، فأنزل الله تبارك و تعالى على نبيه صلى الله عليه و آله آية فى توبته (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ)، (١) يقول عز و جل:

أتاك عبدى يا محمد تائبا فطرته فأين يذهب و الى من يقصد، و من يسأل ان يغفر له ذنبا غيرى، ثم قال عز و جل: (وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ* أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ). (٢)

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٢٣

فجعل البارى الاتيان الى نبيه و قصده اتيان الى بابه تعالى و قصد اليه، و من ثم قال تعالى فى آية اخرى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا). (١)

اللهم انا نسألك و نتوجه اليك بنبيك نبي الرحمة، و امام الهدى، و آله المطهرين الذين اذهبت عنهم الرجس، و افترضت علينا مودتهم فى كتابك، صلواتك عليه و آله، يا رسول الله، يا رسول الله، انا توجهنا و استشفعنا بكم الى الله، فاشفَعُوا لَنَا عِنْدَ اللَّهِ، فانكم

وسيلتنا الى الله، و بحكم نرجو النجاة، فكونوا عند الله رجانا.

عش آل محمد صلى الله عليه و آله / ١٤٢٤ هـ

محمد سند

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٢٥

شبهة وإثارة

إشارة

هناك إثارة من قبل بعض أتباع أحد المذاهب الإسلامية، حول مسألة التوسل بالأولياء، سواء كان التوسل بالنبي صلى الله عليه و آله أو بأهل البيت عليهم السلام، و هم الخمسة من أصحاب الكساء، من قبيل ما يقال في دعاء الفرج: يا محمد يا علي، يا علي يا محمد، كفياني فانكما كافيان، و انصراني فانكما ناصران. و أصحاب هذه الاثارة يعتبرون التوجه و التوسل بالاولياء أيا كانوا حتى و لو كان رسول الله صلى الله عليه و آله شركا في العبادة، و يستدلون بعده و جوه على هذا المدعى لاثبات دعواهم.

أدلة القائلين بعدم جواز التوسل بغير الله تعالى ... ص: ٢٥

أولاً: ان الدعاء عبارة عن النداء، و طلب الحاجة عبادة، و هي لا تجوز لغير الله تعالى كائنا من كان، نيبا كان أو وليا أو ملكا، و الدعاء هو في حد ذاته عبادة، فيكون دعاء غير الله عز و جل عبادة لذلك

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٢٦

الشخص المدعو.

و الدعاء كما ورد في الاحاديث هو مخ العبادة و روح العبادة، فالعبادات بمنزلة الجسد، و الدعاء بمثابة الروح و الجوهر، فكيف يسوغ توجيه الدعاء الى غيره تعالى، و كذلك الحال في الاستغاثة و التوسل بغيره تعالى و الاستنصار بأحد من المخلوقين و الاستعانة به نيبا كان أو وليا أو ملكا أو جنيا أو صنما أو غير ذلك من المخلوقات، و كذلك الحال في السؤال و الالتماس، و بالتالى اذا وجه الانسان الدعاء و أراد به غير الله سبحانه و تعالى يكون ذلك نوع شرك في العبادة، و يعبر عنه بالشرك الصريح أو الشرك الاكبر. «١» ثانيا: ان مقتضى قول (لا إله إلا الله) هو التوحيد في العبادة، فاذا دعى غير الله عز و جل كان هذا نوع عبادة و تأليه لغير الله عز و جل، و في توضيحه بلحاظ الفقرة الاولى و الثانية نقول:

اختلف المفسرون و المتكلمون في معنى (لا إله إلا الله) هل مؤداها توحيد الذات، أو توحيد الصفات و الاسماء، أو توحيد

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٢٧

الافعال، أو توحيد العبادة، و هذا الاختلاف ناشى من معنى الالوهية و من معنى لفظة الله، حيث ان الله او اسم الجلالة هل هو اسم علم للذات؟ أو اسم مشتق من التأليه؟ فإن كان مشتقا من التأليه فهو باق على المعنى الوصفى، و يكون المعنيان متحدين أو متقاربين أما ان كان في الاصل علما للذات فيكون الله بالمعنى الاول خلاف المعنى الآخر.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٢٩

معنى الإله فى اللغة

إله و أصله من أله يأله، إذا تحير، يريد إذا وقع العبد في عظمة الله تعالى و جلاله و غير ذلك من صفات الربوبية، «١» أو وله يأله، و هو عبارة عن الوله و التوجه نحو الشئ، و قال بعض: و له يأله بمعنى عبد يعبد، و قال آخرون: و له يأله، أى اتخذه ربا و خالقا. فمفاد (لا إله إلا الله) توجيه و تركيز العبادة لله سبحانه و تعالى، فإذا توسل أو توجه لغير الله سبحانه و تعالى كان ذلك شرك عبادة. ثالثا: الاستناد الى آيات عديدة وردت فى القرآن الكريم تنص على ان التوسل و القصد لا يكون إلا لله عز و جل و بدون أى وسائط حسب مدعاهم منها:

١- (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) «٢» فقله (فَادْعُوهُ بِهَا) أى أنه فى مقام الدعاء و التوجه لا يدعو الانسان إلا باسماء الله، (وَذَرُوا الَّذِينَ التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٣٠

يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) أى ينحرفون عن أسمائه حيث يذكرون اسماء غيره، مثل يا محمد و يا على و ما شابه ذلك.

٢- (وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا). «١»

٣- (وَ لَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَ لَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ). «٢»

٤- (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ). «٣»

٥- (قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَ لَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا). «٤»

٦- (وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ). «٥»

٧- (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَ إِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ). «٦»

٨- (وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ). «٧»

٩- (وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٣١

اللَّهِ زُلْفَى). «١»

فيعلم من هذه الآيات ان التوحيد فى العبادة و الدعاء و الاستغاثة هو اصل الدين و أساس الملة، و صحة العبادة مشروطة بصحة العقيدة كما قال الله تعالى (وَ لَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ)، و قال تعالى (وَ لَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)، فجعل صحة العقيدة بالتوحيد شرطا فى صحة و قبول العبادات.

رابعا: توجيه قوله تعالى (وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) «٢»، بأن المراد بالوسيلة فى الآيه الطاعات و القربات، و الاعمال الصالحة التى يتقرب بها العبد الى البارى تعالى.

خامسا: ما ورد فى الحديث أن ابراهيم حين القى فى النار أتاه جبرئيل فقال له: هل لك إلى من حاجة؟ فقال إبراهيم: أما اليك فلا، و أما الى رب العالمين فنع. «٣»

فيستفاد من الحديث ان ابراهيم عليه السلام يعطينا درسا بأن عرض الحاجة لا يكون إلا لله سبحانه و تعالى.

هذه مجموعة من الادلة التى استدلووا بها على عدم جواز التوسل بغير الله، و قبل الجواب عنها نقدم و نبين مقوله على عكس مدعاهم

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٣٢

فبقول:

إن نفى هذه الوسائط و الوسائل فى حال التوسل بالله عز و جل هو الشرك بذاته، و ان التوسل و التشفع بهذه الوسائط لقضاء الحوائج هو التوحيد بعينه.

و توضيح ذلك: هو أن هذه الوسائل و الوسائط اذا كانت مجعولة و منصوبة من قبل الله عز و جل فالتوسل و التوجه بها هو التوحيد

التام، أما اذا لم تكن مجعولة من قبل الله فالتوسل بها يكون شركا.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٣٣

وجه ان من الوسائط ما هو مأمور بها من قبل الله عز و جل

و وجه هذه الدعوى بكلا شقيها ان نصب الوسائط و الابواب ان كان من قبل المخلوقين فهو يعد تصرفا في ارادة الرب، فمن ثم يكون شركا، و لذلك كان الانكار على عبدة الاوثان من قبل الله عبر رسله، لانهم هم الذين جعلوا و اقترحوا لانفسهم وسائط من دون نصب الله عز و جل لتلك الوسائط و الوسائل، فالله تعالى في انكاره على عبدة الاصنام و الاوثان لم ينكر عليهم أصل فكرة التوسيط، بل انكر الوسائط المقترحة و المجعولة من قبلهم و التي تجاوزا فيها ارادة الرب، و يدل على هذا الامر- و هو عدم انكار اصل الوساطة بل انكار خصوص الوسائط المقترحة من دون الله عز و جل و ان محط الانكار هو اشراك سلطان العبيد مع سلطان الله تعالى- طوائف من الآيات المباركة:

الطائفة الأولى: ما كان بلسان استنكار الاسماء المقترحة من قبل العبيد و هوى انفسهم.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٣٤

١- (أَتَجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ). «١»

و قد تقرر في علم أصول الفقه ان النهي أو النفي اذا ورد على طبيعة مقيدة فانما يقع على القيد لا ذات المقيد، كقولك لا رجل طويل في الدار، فانه ينفي في المثال المذكور الصنف و القيد و هو الرجل الطويل، لا ذات الطبيعة المقيدة و هو عموم الرجل.

و في مجال البحث في الآية فانها لم تنف أصل الوسائط و الوسائل، و انما نفت الوسائط و الاسماء المقترحة من قبل انفسهم و آباءهم و التي ما انزل الله بها من سلطان، فمصبب الانكار كونها من غير اذن و سلطان الهى، أى كونها مقترحة من قبلهم و إلا فلو كان أصل الوساطة و التوسيط أمر مستنكر فلا معنى لتقييده بقوله تعالى (ما أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ).

٢- (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى). «٢»

الطائفة الثانية: ما كان بلسان تحقق الاشراك بغير الله من الوسائط بسبب أنه ليس من قبل سلطان الله و ارادته و حكمه.

١- (سَلِّقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٣٥

يُنزَّلُ بِهِ سُلْطَانًا وَ مَا وَاهُمُ النَّارُ وَ بئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ). «١»

٢- (وَ كَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَ لَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا). «٢»

٣- (وَ أَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا). «٣»

الطائفة الثالثة: ان التوسل بالوسائط و الشفعاء بغير سلطان الله و اذنه يوجب عبادة من هو دونه.

١- (وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَ مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ). «٤»

٢- (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ). «٥»

الطائفة الرابعة: ان أخذ التشريع من غيره تعالى شرك في التشريع و الديانة ان كان من دون اذنه.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٣٦

١- (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ). «١»

٢- (قُلْ أَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ). «٢»

فمصبب الانكار على الوثنية و المشركين ليس فكرة الوساطة و التوسيط بل هي تصرفهم من قبل انفسهم بوضع وسائط و اقتراحها بما لم

ينزل الله بها من سلطان و لم يأذن بها، فشرکهم بمنازعة سلطانهم لسلطان الله تعالى، و هذه الطوائف من الآيات مفسرة لكل آيات الانكار على المشركين و الوثنيين عبدة الاصنام و غيرهم، و أين هذا المعنى من المعنى الذى يتوخاه أصحاب الاثارة و المقالة المذكورة من انكار أصل التوسيط و الوساطة.

أما بالنسبة الى الكلام حول الطوائف الاربع: فنرى فى لسان الطائفة الاولى ان مصب التخطئة للوثنيين انما هو لكون الاسماء التى يدعون بها هى أسماء من وضع أنفسهم و اقترح منهم على الله ما نزل الله بها من سلطان و لا اذن لهم فيها. فمدار التخطئة على تحكيم سلطانهم و ارادتهم على سلطان الله و ارادته لا على توسيط الاسماء بينهم و بين البارى عز و جل. و أما مفاد الطائفة الثانية فإن سبب الوقوع فى الاشراك ليس فى توسلهم بالوسائط بل فى كون تلك الوسائط لم ينصبها الله عز و جل لهم.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٣٧

فالاشراك انما تحقق لتشريكهم ارادتهم مع ارادة البارى عز و جل، حيث لم يجعلوا ارادتهم منقادة لارادة الله عز و جل. و بالتالى فلا يكون خضوعهم لتلك الوسائط خضوعا لله عز و جل بل خضوعا لهوى انفسهم. و مفاد الطائفة الثالثة ان الموجب لتحقيق عبادة من هو دون الله عز و جل هو ان الخضوع لمن هو دون الله عز و جل من دون امر الله و من دون العلم بكرامته عند الله و وجاهته عنده لا يكون طاعة و لا خضوعا لله تعالى. و بالتالى لا يكون عبادة لله تعالى بل عبادة للاغيار، و ذلك لان الخضوع للغير اذا كان بأمر الله عز و جل يكون فى الحقيقة خضوعا لله و طاعة له، و الغير ما هو إلا وسيلة لتحقيق الطاعة و العبادة، بخلاف ما اذا لم يكن فى البين أمر منه تعالى. و مفاد الطائفة الرابعة فى صدد بيان الشرك فى التشريع و انه ايضا هو الآخر انما يتحقق بسبب عدم اذنه تعالى لاستقاء التشريع من تلك الوسائط.

فالمتحصل ان هذه الطوائف الاربع مفسرة لكل الآيات المبطله لعقيدة الثنوية و الاصنام، و ان جهة الزيع و الانحراف فيها ليست من جهة أصل فكرة الوسائط و الوسائل و الاحتياج اليها بل من جهة كونها بارادة العبيد و تحكيمها على ارادة الرب و سلطانه.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٣٩

مفهوم العبادة

ذكر للعبادة فى اللغة عدة معان منها:

- ١- مملوكية المنفعة، كقوله تعالى (عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ)، «١» و قوله تعالى (وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ). «٢»
- ٢- سيادة الطاعة، و ان لم تكن اصالة للمطاع، كقوله تعالى (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ). «٣»
- ٣- الطاعة و الخضوع لمعبود على وجه التقديس، على وجه انه غنى بالذات و مصدر كل النعم و الكمالات، و المستحق بالذات و بالاصالة لذلك، و هو المعنى الاهم من بين تلك المعانى.

فيكون الكلام فى حقيقة العبادة حينئذ عينه الكلام المتقدم حيث ان الوسائط اذا كانت من جعل البارى تكون العبادة للبارى باعتبار

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٤٠

أمره، و ذلك من قبيل سجود الملائكة لآدم عليه السلام، حيث كانت العبادة هنا المتحققة بالسجود لآدم عليه السلام هى فى الحقيقة احترام و تعظيم لآدم عليه السلام و لكنها عبادة لله عز و جل باعتبار الامتثال لامره تعالى.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٤١

قصة آدم عليه السلام مع إبليس

وقد شرح هذه القصة أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة في الخطبة القاصعة، وفي القصة مجموعة من المحاور الهامة إلا أننا سوف نستعرض منها مسألة سجود الملائكة لآدم عليه السلام.

وفي البداية نقول: ان القصة قد ذكرت في عدة سور قرآنية منها:

١- (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ). «١»

٢- (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ). «٢»

فعلى ضوء كلام اصحاب الاثارة يكون امتناع ابليس من السجود لآدم عليه السلام عين التوحيد، و سجود الملائكة لآدم عليه السلام عين الكفر والشرك.

مع ان الامر على خلاف ذلك حيث اصبح الملائكة في غاية من

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٤٢

القرب من الله عز و جل لامثالهم لامر الله من خلال سجودهم لآدم عليه السلام، سواء فسر السجود بمعنى جعل آدم قبله أو بمعنى الاحترام والتعظيم والانقياد لآدم عليه السلام، و اصبح ابليس في غاية البعد من الله عز و جل و استحق الطرد من رحمة الله لاستكباره على طاعة الامر الالهي، لانه اراد ان يحكم ارادته على ارادة الخالق عز و جل.

ففي الحديث القدسي: قال ابليس لله عز و جل: اعفني من السجود لآدم و اعبدك عبادة لم يعبدك بها احد قبلي و لا يعبدك بها احد بعدي، فقال الله له: لا حاجة لي في عبادتك، فاني اريد ان اعبد من حيث اريد لا من حيث تريد.

فاذا حقيقه العبادة الامثال للامر الالهي و الطواعية و الاذعان، و ليس المدار في العبادة هو الشكلية في هيئة و طقوس العبادة، بل المدار في العبادة و صحتها و التوحيد فيها هو كمال الاستسلام لارادة الباري عز و جل و امتثال امره كما قرر ذلك علماء الكلام و أصول الفقه.

و ههنا يطرح تساؤل و هو ما الفرق في التوجه لاجار الكعبة و التوجه للاصنام؟

و يتضح الفرق في هذا الامر و ليس في وجود الوساطة و عدمها، إذ في كلا الموردين الوساطة متحققة، بل في وجود الامر الالهي و عدمه، حيث يكون التوجه الى احجار الكعبة عبادة بلحاظ الامر

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٤٣

الالهي، و التوجه الى احجار الاصنام شرك و عصيان بلحاظ النهي الالهي.

و هنا يطرح سؤال ايضا و هو قد قلتم ان المدار في العبادة ليس على وجود الوساطة بل المدار على وجود الامر و عدمه، فهل يعقل ان يأمر الله عز و جل بأن يعبد غيره؟

و كأن المستشكل يريد ان يجعل الضابطة ليس على الامر بل على اسناد الفعل و اضافته و الموجه اليه، و اذا كان كذلك فكيف يأمر بعبادة غيره، و هو ممتنع.

و الجواب: ان المدار في العبادة على الامر لا غير كما اسلفنا سابقا، و ان الذي يحقق اضافة العبادة الى الله عز و جل او الى غيره هو نفس الامر.

و توضيحه: ان المدار في العبادة ليس على ايجاد الهيئة و الشكل غير ملابسة و غير متصله بشي و غير متعلقه و غير متجهة بشيء، بل جوهر العبادة الخضوع و الاستسلام، فنلاحظ مثلا ان الله يأمر بطاعته و الخضوع له لكن باب التوجه له مثلا الكعبة، أو ايجاد السجود الى آدم (عليه السلام).

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٤٥

نفى الوسائط يؤول الى التجسيم

وهنا مسألة يجدر الاشارة اليها و هي ان القول بنفى الوسائط يؤول الى القول بالتجسيم حيث ان البارى ليس بجسم، فلا يقابل ولا يحاذى ولا يجابه ولا يجسم بل لا بد من وسائط اخرى، وهذا منتف، أو القول بأن الكل أنبياء سواء فى النشأة السابقة أو النشآت اللاحقة، وهذا منتف ايضا، والخيار الثالث هو تعطيل البارى عن تدبير شؤون خلقه، وهذا منتف ايضا، فلا يبقى إلّا القول بالوسائط، وهو وجود الخليفة فى الارض انطلاقا من قوله (انى جاعل فى الارض خليفة)، والخليفة أعم من النبى و الرسول، و وظيفه الخليفة الوساطة فى تدبير شؤون العباد، و حيث لا تعطيل كما ذكر و لا تشبيه فلا يبقى إلّا القول بالتنبأ- نبوة كل فرد- و هو باطل، أو الصيرورة الى القول بالوسائط، و هو المطلوب، حيث انتفت جميع تلك الوجوه.

وهنا نقطة مهمة لا بد من الاشارة اليها و هي المضمنة فى الدعاء المأثور و هو (اللهم عرفنى نفسك فانك ان لم تعرفنى نفسك لم اعرف رسولك، اللهم عرفنى رسولك فانك ان لم تعرفنى رسولك لم اعرف حجتك،

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٤٦

اللهم عرفنى حجتك فانك ان لم تعرفنى حجتك ضللت عن دينى).

و مضمون هذا الدعاء ان منظومة المعارف تصح و تكون صائبة بصحة و حقانية معرفة الانسان بربه، و ان الخلل الناشى فى معرفة الرسول منعه الخلل فى معرفة الله عز و جل، كما ان الخلل فى معرفة الامام أو الحجة منشأ الخلل فى معرفة الرسول، و الجهل بمعرفة الرسول بالتالى ناشى عن الخلل فى معرفة الله عز و جل.

و يؤيد هذا مجموعة من الآيات منها:

١- (وَ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ). «١» ان هذا الانكار بالرسول ناشى من جهلهم بقدر البارى و عظيم حكمته و تدبيره، و هو ناشى من خلل المعرفة لديهم فى افعال البارى.

٢- (وَ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذُنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ). «٢» أى على عن التجسيم، و حكيم فى فعله أى لا تعطيل لقدرته سبحانه، فعلى ضوء نفى التجسيم يكون وجه الله ليس الوجه الجسمانى، بل هو الآيه المخلوقة التى تكون من اكبر الآيات التى اذا توجه الانسان اليها أو بها صار متوجها الى الله عز و جل.

فاذا الوسيلة و الوساطة امر برهانى ضرورى فى كل النشآت، فالقول بعدم الوساطة يلزم منه اما القول بالتجسيم او القول بالتنبأ او

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٤٧

القول بالتعطيل، بخلاف القائل بالوسائط المنصوبة من قبله تعالى، فلا يلزمه أى محذور من هذه المحاذير.

و هذا النظر و الاعتقاد الحق مما امتاز به مذهب اهل البيت عليهم السلام.

و النقطة الاخرى التى ينبغى ان نشير اليها ان التوسل و الشفاعة و التوسط و الوسيلة تحمل عدم المحورية الذاتية للشفيع و الوسيط، أى ليس للوسيط و الشفيع و الوسيلة الاستقلالية عن الله عز و جل.

فلذلك نرى ان الوسائط التى اتخذت من دون الله عز و جل أخفقت فى وساطتها و وجاهتها لانها استقلت عن سلطان الله و ارادته و اذنه.

و الغريب من اصحاب هذه المقالة القول بأن الشفاعة و التشفع بالنبي صلى الله عليه و آله فى الآخرة ليس بشرك، و كذلك التشفع بالنبي صلى الله عليه و آله حال حياته ليس بشرك، أما التشفع به صلى الله عليه و آله حال موته فهو الشرك.

فيرد عليهم السؤال التالى: ان منطق الشرك من أين نتجت فى هذا الكلام، هل من حد المعنى أو من الحد التعبدى، أو من خلال

المعنى العقلي؟

فاذا كان المعنى عقليا فالغيرية اذا أوجبت الشرك فانها توجهه في كل نشأة سواء نشأة الدنيا او الآخرة، و اذا لم توجه الغيرية الشرك لجهة الوساطة، فما الفرق بين انواع التشفع في الدنيا و الآخرة أو حال الموت أو الحياة؟!
التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٤٩

الرد على أدلة المانعين من التوسل

بعد هذه النقاط التي جعلناها كمقدمة للجواب نجيب على أدلتهم التي جعلوها مانعة من الشفاعة و الوسيلة، فنقول:
الرد على الدليل الأول: انه ينقض على هذا الدليل بطلب الانسان الحي الحاجة من الحي، مثل طلب العلاج من الطبيب، و البناء من البناء، و من الزراع اصلاح الزراعه، و غير ذلك.
و قد أتفق المسلمون على ان هذا الطلب في تعاملات البشر لا يوجب كفرا و لا شركا.
و قد أجابوا على هذا النقض بأمرين:
الأول: بأن سؤال الحي الحاضر بما يقدر عليه و الاستعانة به في الامور الحسية التي يقدر عليها ليس ذلك من الشرك بل من الامور الاعتيادية الحياتية.

الثاني: ان الامور العادية و الاسباب الحسية التي يقدر عليها

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٥٠

المخلوق الحي الحاضر ليست من العبادة بل تجوز بالنص و الاجماع، بأن يستعين الانسان بالانسان الحي القادر في الامور العادية التي يقدر عليها، كأن يستعين به أو يستغيث به في دفع شر كوله أو خادمه أو كلبه و ما اشبه ذلك، و كأن يستعين الانسان بالانسان الحي الحاضر القادر أو الغائب بواسطة الاسباب الحسية، كالمكاتبه و نحوها في بناء بيته أو اصلاح سيارته، و ما أشبه ذلك، و من ذلك الاستغاثة التي جرت لاحد بنى اسرائيل عندما استغاث بموسى عليه السلام في قوله تعالى (فَاسْتِغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ). (١) و استغاثة الانسان باصحابه في الجهاد او الحرب و نحو ذلك.
و أما الاستغاثة بالاموات و الجن و الملائكة و الاشجار و الاحجار فذلك من الشرك الاكبر، و هو من جنس عمل المشركين الاولين مع آلهتهم كاللات و العزى.

دفع الرأيين: أما الكلام في الامر الاول: فالوهن فيه واضح، حيث ان الغيرية مع الله عز و جل لا تفترق مع الفرد الحي أو الميت، و ليس هناك موجب للفرق.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٥١

و أما التعلق بالقادر او القدرة، فإن كانت نابعة من الحي بلحاظ الاستقلال بنفسه فهو الشرك الصريح، و اما ان كانت القدرة من الله و مضافة الى المخلوق من قبل الخالق، فأى فرق بين الحي و الميت، و أما تقييد الاستعانة بالامور الحسية فانه ناشى عن أصالة الحس و المادة و التنكر للعوالم المخلوقة التي ما وراء الحس و المادة، و يلزم منه الصيرورة الى كلام الماديين.

و أما الكلام في الامر الثاني: و قد استدلل القائل هنا بالدليل الثقلي سواء في الجواز أو النفي، و هو غير تام، و بيانه ما يلي:
أولاً: ان بحث الشرك بحث عقلي، و لو بنينا على أنه نقلى فلا شك ان لادراك العقل فيه مجال، و النصوص الواردة ليست إلّا منبهة للعقل، و اذا كان عقليا فهو في حكم العقل سيان في الحي و الميت.

ثانياً: الاستدلال بأن الطلب من الاموات من جنس عمل اصحاب الاوثان، و قد مر ان الانكار القرآنى على اصحاب الاصنام لم يتوجه الى انكار اصل الوساطة بل النكير على التصرف و الجعل الانساني، و الصيرورة الى سلطان الانسان دون تحكيم سلطان الله عز و جل.

ثالثا: انه اذا جازت الاستغائة بالحى لقيام النص و الاجماع، أى الاذن الشرعى، فلا فرق إذا فى الاستغائة بين الحى و الميت مادام المجوز لذلك هو الاذن، و من ذلك يتضح ان المدار ليس على

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٥٢

الغيرية مع الله عز و جل كما فرضه القائل بل على الاذن و عدمه، فاذا وجد الاذن فلا يفرق حينئذ بين الحى أو الميت. الرد على الدليل الثانى: و هو التمسك بالآيات القرآنية.

و منه قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ). «١»

ان الاسم عبارة عن السمة و العلامة و الآيه، و جملة كثيرة من الاسماء الالهية هى اسماء فعلية مشتقة من أفعاله تعالى، فهى مخلوقة، و هى نفس الآيات و المخلوقات من جهة افتقارها و بما هى مفتقرة للبارى، لا بما هى منفصلة عن الله عز و جل، و لا شك ان افضل المخلوقات و اكرمهم على الله عز و جل محمد صلى الله عليه و آله و آل محمد عليهم السلام، ففرض الاسماء، و هى الآيات و الوسائط، و عدم التوجه بها يؤدى الى الالحاد به عز و جل بصريح الآيه (وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ).

و هناك أمر ثانى فى الجواب: و هو ان الاسم استعمل بمعنى الآيه و الكلمة و السمة، و قد اشير الى ذلك فى عدة آيات قرآنية منها:

١- (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ). «٢»

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٥٣

٢- (وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ). «١»

٣- (إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ). «٢»

٤- (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ). «٣»

فأطلق على عيسى عليه السلام كلمة من الله.

٥- (أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِبَيْحِي مُصَدَّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ). «٤»

٦- (فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ). «٥»

٧- (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ). «٦»

٨- (وَاعْلَمَ آدَمُ الْأَسْمَاءَ). «٧»

٩- (وَوَقَّعَتْ كَلِمَةً رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ). «٨»

فكل هذه الاسماء و العلامات و الكلمات يتوجه بها الى الله عز و جل حيث جعلت واسطة فى نيل المطلوب و المراد من قبل الله عز و جل.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٥٤

و الامر الثالث فى الجواب: ما اشار اليه قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ). «١»

فبين الله تعالى ان دعائهم لا- يستجاب و ذلك بعدم تفتح أبواب السماء لهم من خلال التكذيب بآيات الله المنصوبة من قبله، و الاستكبار عن التوجه بها الى الله، حيث عبرت الآيه بالاستكبار عنها لا بالاستكبار عليها، و هذه الآيه فى نفس سورة آيه دعاء الله تعالى بأسمائه، و هذا التعبير فى الآيه بعينه ورد فى حق ابليس فى الآيات الواردة فيه، حيث أبى و استكبر عن التوجه بآدم عليه السلام فى السجود، و كذب بحجبه آدم عليه السلام و فضيلته فى الخلافة الالهية، فلم يقبل الله أعماله، و لم يزن لها صرفا، و طرد من جوار الله و قربه.

و كذلك ما ورد فى قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ). «٢»

وقوله تعالى مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ* وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ* وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ* قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٥٥

وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ* قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ). (١)

فالسباق الواحد مدلل على ان ما فعله ابليس كان انكارا و ظلما لآية من آيات الله عز و جل، و هناك آية اخرى تدل على ان تكذيب الآيات هو تكذيب لله عز و جل و هو قوله تعالى (فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) (٢) حيث ان الآية هنا هم الانبياء و الاوصياء و الوسائط.

الرد على الدليل الثالث: و هو التمسك بقوله تعالى (وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ)، و الكلام فى مفاد الوسيلة فى الآية و تحديده، فقد اتفقت روايات الفريقين ان مقام الوسيلة هو مقام للرسول (صلى الله عليه و آله)، و هو المقام المحمود و الشفاعة الكبرى، فابتغاء الوسيلة الى الله هنا يكون بالتوجه بمقام رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و الظريف فى تعبير الآية أنه ليس بالصورة التالية (و ابتغوني) أو (ابتغوه) بل الابتغاء اسند الى الوسيلة لكن كطريق و عبور و واسطة اليه تعالى، و بالتالى اذا جازت ان تكون للرسول (صلى الله عليه و آله) شفاعة جاز التشفع به، لان طلب المشروع مشروع، و لا يمكن التفكيك بين المسألتين بأن يكون شافعا و لا يجوز التشفع به.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٥٦

و قد يشكل على هذا: ان الشفاعة المذكورة لرسول الله صلى الله عليه و آله خاصة بيوم القيامة أو حال كونه حيا فى الحياة الدنيا، و ان متعلق الشفاعة غفران الذنوب لا غيره من حاجات معاشية كطلب الرزق و الشفاء و ما شابه ذلك، و غير هذه الامور يعد شركا.

و نجيب على هذا بما يلي:

أما الدعوى الاولى: فان التوسل و التوسط اذا كان شركا فلا فرق فى الحياة و الممات، و على القول بأن الادلة نقلية فهى مطلقة غير مخصصة بالدار الدنيا.

و أما الدعوى الثانية: فلا وجه لها حيث افترض ان متعلق الشفاعة فى الامور الخطيرة الاخروية، و هى غفران الذنوب و النجاة من النار و الدخول للجنة، و هى حاصلة فيها، أما فى الامور الدنيوية البسيطة غير حاصلة، مع ان متاع الحياة الدنيا بجنب الآخرة قليل، و لعمر ك ان اصحاب الاثارة غلب عليهم المذهب الحسى المادى، و عظمت المادة فى اعينهم على الآخرة و الامور الاخروية، و هو تفريق بلا فارق، مع ان الشفاعة ليست مختصة بغفران الذنوب بل هى واسعة، تشمل ترفيع الدرجات و المقامات.

الرد على الدليل الرابع: و هو ما يتعلق بقضية ابراهيم عليه السلام حينما اريد ان يلقي فى النار، و عرض جبرئيل عليه السلام المساعدة، فنقول:

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٥٧

ان مبدأ المسئلة من جبرئيل عليه السلام لابراهيم عليه السلام ما هو إلا فى مقام الامتحان لايمان و ثبات و رباطة الجأش عند ابراهيم عليه السلام، و مما يعزز هذا قول ابراهيم لجبرئيل علمه بحالى يغنى عن سؤالى مع ان الدعاء مرغوب فيه على كل حال، و قد توعد الله عز و جل المستكبر عن دعائه، فهل يتوهم ان ابراهيم عليه السلام خارج عن الادب الالهى، و العياذ بالله تعالى من هذا الوهم، فإذا قوله هذا انما كان لارادة اظهار الثبات و الحزم و عدم الهلع بل الطمأنينة التامة و الكاملة.

و يمكن ان يقال بان ابراهيم عليه السلام لم يطلب حاجه من جبرئيل لانه افضل منه و لا يمكن التوسل بمن هو ادنى مرتبة بالنسبة للمتوسل.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٥٩

ملاح من التوسل فى الشعائر العبادية

هناك مجموعة من الشعائر العبادية التى شرعها الشارع المقدس و فى مجموعها حالة من التوسل و التوجه بها الى الله عز و جل و فى صميم المركز التوحيدى و هو بيت الله الحرام حيث يقول تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا). «١» فى الآية مزج بين مسألتين الاولى ان البيت الحرام هو اول بيت وضع للعبادة و للحج، و المسألة الثانية ما يحويه هذا البيت من آيات بينات مثل مقام ابراهيم، و الامان بالنسبة الى داخله و للحجاج و المعتمرين، فان الحج فى اللغة هو القصد، و فى الشرع هو القصد الى بيت الله الحرام، قصدا الى الوفود على الله تعالى، فالحج الذى هو ضيافة رحمانية للوافدين و قصد الى الله تعالى جعل مقرونا بآيات الانبياء و الاصفياء، ليكون دليلا و شاهدا على ان التوجه و السير الى الله التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٦٠

تعالى يتم بالتوجه بانبيائه و اصفياه، و التوسل بهم الى الله عز و جل، و ما شابه ذلك، و نحاول ان نتكلم هنا عن هذه الآيات البينات و هى كثيرة:

الاولى: مقام ابراهيم عليه السلام: قال تعالى (وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ). «١»
فالتعبير (بمقام) فى قوله تعالى (وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ) عبارة عن التفخيم و التعظيم لذلك المكان، و ذلك لمماسته لجسد ابراهيم عليه السلام، و من ملاح تعظيمه ان الحاج و المعتمر لابد ان يتوجه اليه فى حال صلاة الطواف ثم الى سمت الكعبة، فاذا كانت الحال هذه فكيف لا يتوجه بنفس ابراهيم عليه السلام و بشخصه علما بأن حجر المقام ما نال التشريف إلا بابراهيم عليه السلام، و قد عبر عن المقام و قد جعل آية، فكيف نمنع ان يكون ابراهيم آية، فما هذا إلا عناد و مكابرة و صد عن آيات الله عز و جل.
الثانية: حجر اسماعيل، و قد ورد فى الروايات ان فيه قبر اسماعيل و أمه و سبعون نبيا، و الملاحظ ان جميع المسلمين يطوفون بالبيت الحرام و يطوفون بهذه القبور، و قد أمر ابراهيم و اسماعيل بتطهير البيت بنص القرآن، مع ان اسماعيل هو الذى جعل قبر أمه فى الحجر، فاذا كان الحال ذلك فى مركز بيت التوحيد، و هو بيت الله التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٦١

الحرام، أول بيت وضع للناس، فكيف يقال ان الطواف بالقبور عبادة لتلك القبور، و مع كل ذلك يصف البارى عز و جل ان هذه من الآيات البينات و انها هدى للعالمين.

و لسنة أهل الجماعة عدة روايات دالة على ان قبر اسماعيل فى الحجر منها:

١- الدر المنثور للسيوطى ١٠٣/٣ و قد اخرجه عن ابن عساكر بسنده عن ابن عباس.

٢- الدر المنثور للسيوطى ١٢٦/١ اخرج عن ابن سعد فى الطبقات و غيره انه لما توفى اسماعيل دفن فى الحجر مع أمه.

الثالثة: المستجار أو الملتزم، و فيه آية بينة مرتبطة بأصفياء الله تعالى و منتجيه حيث انشق جدار الكعبة لفاطمة بنت اسد عندما ارادت الولادة بالامام على عليه السلام فى قضية مشهورة معلومة، و هذه آية بينة ظاهرة فى ولادة الامام على عليه السلام، و استلام المستجار و الملتزم من الكعبة من الشعائر المستحبة بين عامة المسلمين.

الرابعة: السعى بين الصفا و المروة، و فيه آية مرتبطة بأولياء الله تعالى، و قد روى فى قوله تعالى (إِنَّ الصِّفَا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) «١» و فى سبب تسمية الصفا و المروة أن آدم لما نزل على الصفا سمي الصفا، التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٦٢

لان آدم كان صفى الله، و لما نزلت حواء على المروة سميت مروة، و هى مشتقة من المرأة.

و في تشريع السعى يذكر انه كان تأسيا بالسعى الذي قامت به هاجر بين الصفا و المروة من اجل تحصيل الماء لابنها اسماعيل.
الخامسة: بئر زمزم، حيث سن الشرب من زمزم بعد الطواف، و قصة نبوع ماء زمزم مشهورة حيث نبع الماء بفعل تحرك و فحوص اسماعيل برجله في حال كونه رضيعا.

الى غير ذلك من الآيات الاخرى كالوقوف بعرفة و المزدلفة و رمى الجمرات و الذبح و سبب تشريعها و تسميتها، فنلاحظ ان جميع تلك الاعمال و الشعائر التي يأتى بها الانسان في بيت التوحيد و في حرم التوحيد ما هي إلا اعمال قد ارتبطت بالانبياء و الاصفياء، و نحن عند ما نأتى بها مرتبطة بهم مع كون تلك الاعمال هي نحو من التوجه بهم الى الله تعالى، و بذلك نحن نسير على وفق خطاهم و نهجهم في تلك الاعمال و الافعال تطابق النعل للنعل، و هذا مما يدل على ان الوفود اليه سبحانه و تعالى لا يكون إلا بالتوجه و التوسل باولئك الانبياء و الاولياء في الافعال و الاعمال.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٦٣

موارد أخرى في التوسل

و هناك موارد اخرى دالة على التوسل و التشفع و هي كثيرة منها:

الاول: القسم بشخص النبي صلى الله عليه و آله، مع ان القسم بالشى نحو توسط له و توسل به، و جعله منشأ للتوثيق، و قد ورد القسم بشخصه في عدة آيات قرآنية منها:

١- (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ). «١»

و لم يرد القسم في القرآن بغير أحد غير خاتم الرسل صلى الله عليه و آله.

٢- (لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ* وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ). «٢»

و الآية على كلا تفسيري (لا) زائدة أو نافية فهي دالة على تعظيم مقام النبي صلى الله عليه و آله.

٣- (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) «٣» و قد فسر صاد هنا بانه اسم من اسماء النبي صلى الله عليه و آله.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٦٤

٤- (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ). «١»

٥- (يس* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ). «٢»

٦- (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ). «٣»

٧- (طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ). «٤»

و قد روى عن الامام السجاد عليه السلام ان كل اسم جاء بعده قسم بالقرآن أو الكتاب فهو اسم من اسماء النبي صلى الله عليه و آله. و من المعلوم ان القسم ينبا عن تعظيم المقسوم به، و هذا مما يدل هنا على عظمة النبي صلى الله عليه و آله و وجاهته عند الله تعالى، و بالتالى حظوته و قبول شفاعته، و التشفع به و التوجه به الى الله تعالى.

الثاني: أمر الله بالتوسل بالنبي صلى الله عليه و آله، و قد ورد في عدة آيات قرآنية منها:

١- (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا). «٥»

فأسند المجى الى النبي صلى الله عليه و آله لا-اليه تعالى، و جعل المجى الى النبي صلى الله عليه و آله مجى اليه تعالى، ثم جعل شفاعته النبي صلى الله عليه و آله بالاستغفار لهم شرط في قبول البارى توبتهم.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٦٥

٢- (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ). «١»

٣- (وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُؤُوسَهُمْ وَ رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ). «٢»

و هذه الآية مشابهة لآية استكبار ابليس عن التوجه بآدم الى الله تعالى فى السجود حيث أبى و استكبر و كان من الكافرين، فالذين يستكبرون عن التوسل برسول الله و شفاعته لغفران الذنوب و للفلاح و الصلاح و يلوون رؤوسهم، و يصدون عن توسط الرسول صلى الله عليه و آله لن يغفر الله لهم و لا يهديهم لفسقهم بذلك، كما ورد التعبير عن عمل ابليس فى اباءه عن التوجه بآدم عليه السلام بأن فسق عن أمر ربه.

٤- (وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). «٣»

فالآيات القرآنية كلها تشير الى التوسل بالنبي من خلال أمر الله عز و جل نبيه بالاستغفار للمؤمنين تارة، و دعوتهم للمجى الى النبي لطلب الاستغفار تارة اخرى، و قد عد المتخلف عن المجى الى الرسول صلى الله عليه و آله صادًا و مستكبرًا عن عبادة الله سبحانه و تعالى.

٥- (قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا). «٤»

فالآية المباركة ابانت مقام ابراهيم و حفاوته عند الله عز و جل
التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٦٦

بحيث يكون شفيعا عبر الاستغفار للغير، مع ان الملة الحنيفة التوحيدية هي ملة ابراهيم.

٦- قول موسى عليه السلام: (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِأَخِي وَ أَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ). «١»

٧- قول أبناء يعقوب:

(يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ). «٢»

٨- (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا). «٣»

و هذه الآية تبين وساطة حملة العرش فى غفران الذنوب، و قد روى الفريقان ان حملة العرش فى يوم القيامة هم أربعة من الانبياء اولى العزم، و اربعة من هذه الامة النبى صلى الله عليه و آله و اهل بيته، و لا بد من الالفات الى امر هام بالغ الخطورة، و هو ان الغفران و التوبة يعنى القرب الى الله تعالى و الرجوع اليه، فاذا كان طريق الرجوع اليه و هو التوبة من الاوبة هو بالتوجه بمن هو وجيه عند الله، فمحصل معنى الآيات هو يا وجيها عند الله اشفع لنا عند الله، و انه بالتوجه بالنبي صلى الله عليه و آله و اهل بيته عليهم السلام الى تعالى يحصل القرب و الزلفى.

فلاحظ فى هذه الآيات ان موسى عليه السلام يطلب المغفرة لأخيه

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٦٧

هارون عليه السلام، و ان ابناء يعقوب يتوجهون الى أبيهم ليستغفر لهم ما فرطوا فى حق أخيهم يوسف عليه السلام، و ان حملة العرش و من حوله يستغفرون للذين آمنوا، و ما ذلك إلا لوجهه هؤلاء و قربهم من الله عز و جل حتى اصبحوا و جها يتوجه به الى الله سبحانه و تعالى.

الثالث: التوسل بغير الانبياء و الاولياء، و قد وردت موارد عديدة فى القرآن الكريم منها:

١- (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا). «١»

و فى الآية اشارة الى جواز التوسل و مشروعيته حتى بما يتعلق بالانبياء، فلاحظ فى الآية ان الشفاء الذى حصل ليعقوب من خلال توسط قميص يوسف، مما يدل على ان وجاهة الرسل و الاولياء عند الله عز و جل توجب التوجه بهم الى الله تعالى، و انهم محل للشفاعة بل لما هو ادنى من ذلك و هو الشفاء و ما شابهه.

لا يقال: ان هذه قضية خاصة قد جرت ليوسف و يعقوب و لا يجوز تعديتها الى غيرها.

لأننا نقول: ان الاشارة فى الآيه كانت الى طبيعى التشفع و التوسل و الاستشفاء، و المورد لا- يخصص الوارد، مع ان فى ذيل سورة يوسف (لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى)، فدلل ان ما فى قصصهم عبرة ليستن بها و يؤخذ بها، التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٦٨

و كذلك فى صدر السورة (فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَسَائِلِينَ).

٢- (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضِهَا كَذَلِكَ يُعْهِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ).

(١)

فقد توسل لاجل احياء ميت بواسطة بعض حيوان و هى البقرة، فاذا كان بعض البقرة و من خلاله جعل واسطة لامر عظيم و هو الاحياء فهل ترى ان التوسط و التوسل بالاولياء فى صغار الامور أو كبارها يعد شركا و كفرا.

٣- (إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ). (٢)

فلاحظ ان التابوت قد حصل على السكينه و البركه لعلاقته بآل موسى و هارون و ما ذلك إلا لمقام و وجهه موسى و هارون.

٤- (قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي). (٣)

فبينت الآيه ان لاثر تراب حصان جبرئيل حيث كان يرشد بنى اسرائيل فى طريقهم فى البحر ييسا هذا التأثير.

الرابع: ما ورد من روايات فى التوسل و التشفع و التبرك برسول الله صلى الله عليه و آله و هى كثيره منها:

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٦٩

١- روى البخارى عن الجعيد بن عبد الرحمن قال: سمعت السائب بن يزيد قال: ذهبت بى خالتي الى رسول الله صلى الله عليه و آله فقالت:

يا رسول الله ان ابن اختى وجع، فمسح رأسى و دعا لى بالبركه، و توضأ و شربت من وضوئه. (١)

٢- روى البخارى عن الحكم قال: سمعت أبا جحيفه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه و آله بالهاجرة الى البطحاء، فتوضأ، ثم صلى الظهر ركعتين، و العصر ركعتين، و بين يديه عنزة، و زاد فيه عون عن أبيه، عن أبى جحيفه قال: كان يمر من ورائها المرأة، و قام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم. (٢)

٣- روى البخارى عن عون بن أبى جحيفه، عن أبيه قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله فى قبه من ادم، و رأيت بلالا- اخذ وضوء رسول الله صلى الله عليه و آله، و رأيت الناس يبتدرون ذاك الوضوء، فمن اصاب منه شيئا تمسح به، و من لم يصب منه شيئا اخذ من بلل يد صاحبه. (٣)

٤- روى السهمودى، و المتقى الهندى ان غبار المدينه شفاء من الجذام، و ان غبار المدينه يبرى الجذام، و ان فى غبارها شفاء من كل داء.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٧٠

٥- (١) روى السهمودى ايضا: ان النبى صلى الله عليه و آله قال: ما لكم يا بنى الحارث روبي؟ قالوا: اصابتنا يا رسول الله هذه الحمى، قال: فأين أنتم عن صعب؟ (٢)

٦- فى سنن ابن ماجه، عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضرير البصر اتى النبى صلى الله عليه و آله فقال: ادع الله لى ان يعافينى، فقال: ان شئت اخرت لك و هو خير، و ان شئت دعوت، فقال: ادعه، فأمره ان يتوضا فيحسن وضوءه و يصلى ركعتين، و يدعو بهذا الدعاء (اللهم انى اسألك و اتوجه اليك بمحمد نبى الرحمه، يا محمد انى قد توجهت بك الى ربى فى حاجتى هذه لتقضى، اللهم فشفعه فى). (٣)

٧- روى البيهقى فى خبر صحيح انه فى ايام عمر جاء رجل الى قبر النبى صلى الله عليه و آله فقال: يا محمد استسق لامتك، فسقوا.

(٤)

٨- روى النسائي عن عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يقول: اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، و صلوا عليّ فانه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه عشرا، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، ارجو ان

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٧١

اكون انا هو، سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة. (١)

٩- روى مسلم، عن عائشة، عن النبي صَلَّى الله عليه وآله قال: ما من ميت تصلى عليه أمه من المسلمين يبلغون مئة، كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه. (٢)

١٠- روى مسلم، عن النبي قال: ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا، لا يشركون بالله شيئا إلا شفعم الله فيه. (٣)

١١- نقل عبد الله بن احمد بن حنبل فى كتاب العلل و السؤالات قال: سألت أبى عن الرجل يمس منبر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و آله يتبرك بمسه و تقبيله، و يفعل بالقبر ذلك رجاء ثواب الله تعالى، فقال: لا بأس.

١٢- عن اسماعيل، ابن المنكدر يصيبه الصمات، فكان يقوم و يضع خده على قبر النبي صَلَّى الله عليه وآله، فعوتب فى ذلك، فقال: يستشفى بقبر النبي صَلَّى الله عليه وآله.

فما ذكرناه من روايات صريحة فى جواز التوسل و التشفع و الاستشفاء سواء بالنبي صَلَّى الله عليه وآله أو بأهل بيته عليهم السلام أو بالاولياء أو بالصالحين أو بالباق و البلدان كالمدينة المنورة و غيرها، و هى لم تنل

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٧٢

هذه المكانة من الشفاء فى تراها و غبارها إلا بشخص النبي صَلَّى الله عليه وآله، فهل بعد كل هذا يبقى مجال للشك فى جواز التوسل و التشفع بالاولياء؟

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٧٣

موارد عقلية على التوسل

و هنا نذكر عدة موارد عقلية دالة على جواز التوسل و التشفع و هى:

الأول: ذكر الفلاسفة ان الله خالق كل شى لكن خلقه للمخلوقات ليس على رتبة واحدة بل مترتبة، و ذلك ليس لعجز فى البارى، و انما المخلوق منه ما يمتنع فرض ذاته قبل سلسله من المخلوقات الاسبق منه، و انما المخلوق السابق يكون سببا لتقرر امكان المخلوق اللاحق و سببته راجعة مآلا- الى تسبب البارى تعالى، أى ان المخلوق الجسمانى مثلا يمتنع ان يفرض وجوده بلا مادة عنصريه، و بالتالى يكون المخلوق السابق هو افضل و اقرب الى الله عز و جل، و يكون بابا للمخلوق اللاحق و وسيلة له.

الثانى: ان طريقة الوفود على أى شخص فى الآداب العقلية و المتعارف الاجتماعى تكون عن طريق الاستئذان من خلال حجاب او بوابة، و هذا العمل نوع من الاحترام و التعظيم فى الوسط

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٧٤

الاجتماعى بين افراد الانسان، و قد قرر الاسلام هذا النوع من الادب فى كثير من آياته، (و أتوا البيوت من أبوابها)، (إنّ الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون)، و رواياته، (أنا مدينة العلم و أنت يا على بابها، فمن اراد المدينة و الحكمة فليأتها من بابها)، بل نرى ان هذا الادب الالهى قد قرره الشارع المقدس فى الوفود على بيت الله الحرام، فجعل الاحرام مقدمه للتهيؤ و التعظيم، و

الوقوف بعرفات ثم المزدلفة ثم قضاء التفت مقدمة على زيارة البيت ثانية، فعليه يكون التوجه بالوسائط والوسائل الى الله نوع من انواع الادب الذي يقره العقل والعقل في تعاملهم.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٧٥

خاتمة في التوسل

الوسائط مظهر قدرة البارئ ... ص: ٧٥

قد يطرح هنا سؤال وهو ان الاعتقاد بالوسائط قد يفضى الى اعتقاد عجز البارئ سبحانه وتعالى، ومما لا شك فيه ان البارئ غنى عن العالمين، لانه اذا اراد شيئاً فانما يقول له كن فيكون.

و يجاب عن هذا السؤال بعدة أمور:

الاول: جواب حلي، وهو ان اقدار الله لبعض مخلوقاته لا يعنى الافتقار منه عز وجل، كما لا يعنى اقدار البارئ للوسائط استقلالها عن قدرة البارئ وإلا لكانت في وجودها مستقلة عنه في مرحلة البقاء، ولاقتصر احتياجها اليه في مرحلة الحدوث فقط، وهذه مقولة بعض المعتزلة، والعياذ بالله تعالى منها، بل المخلوقات كما هي محتاجة في وجودها حدوثاً هي محتاجة في وجودها بقاءً الى البارئ، ولو قطع البارئ عنايته لحظة او في اقل من اللحظة عنها لبطلت وانعدمت وصارت فانية، وكذلك المخلوقات في قدراتها

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٧٦

على ما يصدر منها من افعال لا تستقل عن قدرة البارئ تعالى حدوثاً وبقاءً، ومن ذلك يظهر ان القائل بحصر تخليق الله تعالى للخلق عن طريق الابداع فقط التزم بذلك لتوهمه بأن التخليق من المادة المخلوقة سابقاً مثلاً هناك شراكة في التخليق من الله ومن المادة، وان المادة مستقلة في عرض البارئ، والعياذ بالله، وهذا الوهم جهالة، بل هو نوع من التوسيط بينه وبين مخلوقاته عبر اوليائه ومقربيه الذين اصطفاهم وجعلهم ابواباً لرحمته ومحلاً لنيل شفاعته.

الثاني: جواب نقضى، وهو ان نقرب اشكالهم ببيان فلسفي وهو ان كل فعل من افعال البارئ لا بد ان يكون حسب مدعاهم ابداعى أى بلا- واسطة بل من البارئ مباشرة، فكل ما كان غير ابداعى يكون عجزاً من البارئ، إلا اننا نشاهد اكثر الموجودات مخلوقة غير ابداعية بل كانت مخلوقات بتوسط اسباب.

فهذه المخلوقات التي نشاهدها اما ان ننسبها للبارئ بتوسط الوسائط، فيكون العجز حسب ما ادعوا، واما ان لا ننسبها للبارئ لانها مخلوقات غير ابداعية يعنى ليست بكن فيكون، فتكون المشكلة اعظم حيث تجرد نسبة هذه المخلوقات عن الله عز وجل.

وعند ما يقال بتوسط شئ في مخلوقاته لا يستوجب بالضرورة نسبة العجز للبارئ، بل الاشياء مفتقرة اليه، وفي كل الاحوال تلك الاشياء لا تنفك عن قدرة و ارادة البارئ، بل هي مرتبطة و مفتقرة الى

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٧٧

البارئ و ارادته في كل الاحوال و الازمان.

الثالث: وجود طوائف من الآيات القرآنية دالة على وقوع التخليق من الله عبر الوسائط من ملائكة و رسل و غير ذلك و هي:

الطائفة الأولى: وفاة الانفس و فيها عدة اسنادات:

الأول: الاسناد في وفاة الانفس الى الملائكة

١- (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ). «١»

٢- (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَ هُمْ لَا يُفْرَطُونَ). «٢»

٣- (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ). «٣»

٤- (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ). «٤»

٥- (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ). «٥»

٦- (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ). «٦»

٧- (فَكَيفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ). «٧»

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٧٨

٨- (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ). «٨»

ففي مجموع الآيات نلاحظ ان الله سبحانه و تعالى قد نسب و اسند وفاة الانفس الى الملائكة فهل هذا يعنى ان الله عاجز ان يقبض ارواح العباد بنفسه، فليس هذا العمل إلا من باب التوسيط في شؤون مخلوقاته لا غير.

الثاني: الاسناد في وفاة الانفس اليه سبحانه و تعالى

١- (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا). «٢»

٢- (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ). «٣»

٣- (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ). «٤»

٤- (وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ). «٥»

الثالث: الاسناد في وفاة الانفس الى ملك الموت

١- (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ). «٦»

الطائفة الثانية: تصريح الباري بإيكال بعض الامور الى بعض مخلوقاته من غير ان يكون ذلك تفويض عزلى تنعزل فيه قدره

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٧٩

الباري فان الاشياء جميعها قائمة بقدرته حدودا و بقاء.

١- (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ).

٢- (فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ). «١»

٣- (وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا). «٢»

فهذه الوكالة من الله ليس هي عزل لقدرة الله سبحانه و تعالى، فاننا نرى في الموكل الاعتباري حينما يوكل شخصا لا ينعزل باعطاء الوكالة تماما، فكيف بالمولى و الموكل الحقيقي سبحانه و تعالى علوا كبيرا، فليس توكل و تفويض عزلى تنحسر فيه قدرة الباري عن الفعل الموكل فيه بل الاشياء برمتها قائمة به تعالى، و هو قيوم على كل شى فضلا عن افعال الاشياء.

الطائفة الثالثة: الدالة على توسيط بعض المخلوقات فى الخلق، و هو توسط الماء فى خلق كثير من المخلوقات كالنبات و الانسان و ما شابه ذلك.

١- (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ). «٣»

٢- (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٨٠

شَيْءٍ). «١»

٣- (وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ). «٢»

٤- (وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ). «٣»

٥- (وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَ كُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ). «٤»

٦- (وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ). «٥»

٧- (وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ). «٦»

٨- (وَ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ). «٧»

٩- (وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَ صِهْرًا). «٨»

الطائفة الرابعة: اسناد كثير من الافعال الى المخلوقات ١- (أ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ).

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٨١

فأسند الخلق «١» هنا الى اليد و هي القدرة المخلوقة المباشرة للمادة المخلوق منها الانعام، و هي غير الذات الالهية.

٢- (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى). «٢»

و اسند الخلق هنا الى اسم الرب و هو غير الذات الالهية ايضا.

٣- (وَ يَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ). «٣»

و ليس المراد من الوجه جزء الذات كما يتوهمه المجسمه الحشوية تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، بل المراد منه الآية الكبرى الدالة على عظمة الذات الالهية، فأينما تولوا فثم وجه الله، و قد اطلق على البيت الحرام و الكعبة القبلة أنها وجه الله في سياق آيات سورة البقرة التي تتحدث عن القبلة (وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)، و قال: (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ).

٤- (وَ لَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا). «٤» و هنا اسند تسيير الجبال و تقطيع

الارض و تكليم الموتى أى احياء الموتى الى القرآن.

الطائفة الخامسة: ما عبر عنها بالملك لغير الله مع عدم الاعتزال عن الله و قدرته و لا عن امداده و توسيطه.

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٨٢

١- (وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا). «١»

ذكر تعالى ذلك عن آل ابراهيم و من البين عدم ارادة ملك الرئاسة الاجتماعية السياسية، اذ لم يقع ذلك في التاريخ، بل المراد الملك اللدني الايتاني أى فى الملكوت، نظير ما قاله تعالى (وَ كَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ)، و (ادْعُهُنَّ يَا تَيْنَكَ سَعِيًّا)، و (وَ جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا)، و الحديث عن اسماعيل و اسحاق و يعقوب يهدون بأمر الهى ملكوتى.

٢- (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي). «٢»

٣- (وَ إِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَ مُلْكًا كَبِيرًا). «٣»

٤- (وَ شَدَدْنَا مُلْكَهُ وَ آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَ فَضَّلْنَا الْخِطَابِ). «٤»

٥- (وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا). «٥»

٦- (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ). «٦»

٧- (وَ نَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ). «٧»

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٨٣

فوصف خازن النيران الملك الموكل بالنار و طبقاتها بالملك.

٨- (وَ الْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً). «١»

الحمل بمعنى العلم لا ان القدرة الالهية تقع مفعوله محتاجة، و العياذ بالله تعالى عما يقوله المجسمه الحشوية.

٩- (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيْلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ). «٢»

فجعل الظهارة و الاعانة لجبرئيل و صالح المؤمنين عليا عليه السلام و الملائكة مع انه تعالى قيوم على جبرئيل و صالح المؤمنين و على الملائكة إلا انا بيان لوسائط قدرته تعالى، كما قال تعالى (هُوَ الَّذِي آتَىٰكَ بِنَصِيرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ) «٣» مع انه تعالى قال: (وَ مَا النَّصِيرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)، «٤» و قال: (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يَبِيْثْ أَفْدَامَكُمْ). «٥»

١٠- (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبُّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ). «٦»

١١- (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ). «٧»

١٢- (هَذَا يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ). «٨»

الطائفة السادسة: ما ذكر فيها نسبة الاهلاك الى نفسه سبحانه

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٨٤

و تعالى أو الى بعض مخلوقاته

١- (وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقُرَىٰ وَ صَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ). «١»

٢- (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ). «٢»

٣- (وَ أَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ). «٣»

٤- (وَ لَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ). «٤»

٥- (فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَ مِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَ مِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا). «٥»

الطائفة السابعة: الاسناد الى الرياح فى انشاء بعض الخلق.

١- (وَ أَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ). «٦»

٢- (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتَنِيْرُ سَحَابًا). «٧»

٣- (وَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ). «٨»

٤- (وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ). «٩»

٥- (وَ اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتَنِيْرُ سَحَابًا). «١٠»

و بهذا نختم ما أردنا رسمه فى هذا البحث، و الحمد لله رب العالمين، و صلى الله على محمد خير خلقه و آله الطيبين الطاهرين الذين

اذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا. «١١»

التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٨٥

مصادر البحث

١- القرآن الكريم

٢- تربة الحسين دراسة و تحليل، ج ١، الشيخ عبد الرسول آل درويش.

٣- سنن ابن ماجه للحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى، دار احياء التراث العربى، ١٩٧٥ م.

٤- سنن البيهقى.

٥- سنن النسائى، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦- صحيح البخارى، دار الاحياء التراث العربى بيروت، ٢٠٠١ م.

٧- صحيح مسلم، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢ م.

٨- كنز العمال للفاضل الهندى.

- ٩- منهاج الرشاد لمن اراد السداد، الشيخ جعفر كاشف الغطاء، مركز الغدير للدراسات الاسلامية، ايران، ٢٠٠٠ م.
- ١٠- النهاية في غريب الحديث و الاثر، للامام مجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى، اسماعيليان، ايران، ١٣٦٤ هجرى شمسى.
- ١١- وفاء الوفا للسمهودى.
- التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٨٧

فهرس المطالب

- كلمة المقرر ٥
- توطئة ٧
- مقدمة ١١
- شبهة و اثاره ٢٥
- معنى الاله فى اللغة ٢٩
- وجه ان الوسائط ما هو مأمور بها من قبل الله ٣٣
- مفهوم العبادة ٣٩
- قصة آدم عليه السلام مع ابليس ٤١
- نفى الوسائط يؤول الى التجسيم ٤٥
- الرد على أدلة المانعين من التوسل ٤٩
- الرد على الدليل الاول ٤٩
- الرد على الدليل الثانى ٥٢
- الرد على الدليل الثالث ٥٥
- الرد على الدليل الرابع ٥٦
- ملامح من التوسل فى الشعائر العبادية ٥٩
- موارد اخرى فى التوسل ٦٣
- الأول: القسم بشخص النبى صلى الله عليه و آله ٦٣
- الثانى: امر الله التوسل بالنبى صلى الله عليه و آله ٦٤
- الثالث: التوسل بما يتعلق بالانبياء كتبهم ٦٧
- التوسل: عبادة توحيدية، ص: ٨٨
- الرابع: روايات التوسل و التبرك بالنبى صلى الله عليه و آله ٦٨
- موارد عقلية على التوسل ٧٣
- خاتمة فى التوسل ٧٥
- اشكال و جواب الاشكال فى عدة أمور ٧٥
- الجواب الأول: و هو جواب حلّى ٧٥
- الجواب الثانى: و هو جواب نقضى ٧٦

الجواب الثالث: الآيات القرآنية الدالة على جواز التخليق من الله عز وجل عبر الوسائط من ملائكة وورسل وهي طوائف ٧٧

الطائفة الأولى: وفاة النفس وفيها عدة اسنادات ٧٧

الطائفة الثانية: تصريح بعض الآيات القرآنية على ايكال البارى بعض الامور الى مخلوقاته ٧٨

الطائفة الثالثة: تصريح بعض الآيات القرآنية على توسيط بعض المخلوقات فى الخلق ٧٩

الطائفة الرابعة: اسناد بعض الافعال الى مخلوقات ٨٠

الطائفة الخامسة: ما عبر عنها بالملك لغير الله مع عدم الاعتزال عن قدرته و امداده و توسيطه ٨١

الطائفة السادسة: نسبة الاهلاك الى الله عز وجل أو الى بعض مخلوقاته ٨٣

الطائفة السابعة: الاسناد الى الرياح فى انشاء بعض الخلق و تخليقه ٨٤

مصادر البحث ٨٥

فهرس المطالب ٨٧

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام على بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بناذر البحار - فى تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رحمه الله - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذى قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبى (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، فى سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفئ مصباحها، بل تتبع بأقوى و أحسن موقف كل يوم. مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحه آية الله الحاج السيد حسن الإمامى - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرر الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتى المتبدله أو الرديئه - فى المحاميل (=الهواتف المنقوله) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلاميه، إناله المنابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة فى الجامعه، و... - منها العدالة الاجتماعيه: التى يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - فى آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الإيرانيه - فى أنحاء العالم - من جهه أخرى. - من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الديتية، السياحية و...

د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدة مواقع أخر

ه) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية

و) الإطلاق و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كاشك، و الرسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعية و اعتبارية، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلمية، الجوامع، الأماكن الديتية كمسجد جمكران و...

ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / "ما بين شارع" پنج رمضان " و مفترق "وفائى" / "بنايه" القائمية

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافى الحجم المتزايد و المتسع للامور الديتية و العلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - فى حد التمكن لكل احد منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولى التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
الغمامة اصححان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

